المحاضرة الثالثة والعشرون: فاعلية الاتصال الجماهيري.

أن تحجيم فاعلية الاتصال الجماهيري أو تحديدها، تتباين بتباين المجالات والمعلومات والاتجاهات التي يطرقها بل ويمكن أن يؤثر فيها الاتصال الجماهيري، إذ أن هناك مجالات نجح وتفوق فيها تأثير الاتصال الجماهيري مقارنة بمجالات أخرى، إذ يتقلص أو يتحجم تأثيره لاسيما القضايا التي تهم الجماعات الأولية كالتفاعل والاتصال الاجتماعي والمكانات والأدوار والتفاعلات الأسرية. فضلاً أو الأهم (القيم) بوصفها موضوعاً يمكن أن يتأثر بالاتصال الجماهيري أو يؤثر فيه. فقد تفشل برامج إعلامية لمنطقة ذات ثقافة تقليدية بوصفها تتعارض مع قيمها التقليدية. إذ أن الحاجة تظهر هنا إلى دراسة العلاقات الاجتماعية بمتضمناتها. خاصة إذا كنا بصدد حملات إعلامية جماهيرية تهدف التأثير في مثل هذه المجالات. فضلاً عن الأمر يتطلب دراسات متعمقة تحاول الكشف عن الاتجاهات المختلفة سواء منها التي تقوم على قيم عميقة في الشخصية والبناء الاجتماعي أو التي لا تتميز بمثل هذه الدرجة من العمق والأصالة. وهنا يتضح أن الاتصالات الجماهيرية والناجحة خاصة لا تؤثر فقط في المجتمع الذي تستهدفه وإنما هي تتأثر بهذا المجتمع قيمه وعاداته ومقدساته.

يتضح مما تقدم أن مستوى بلوغ الهدف باستخدام الاتصال الشخصي أو الجماهيري كنموذج منفرد يتباين بتباين برنامج أو مشروع الاتصال. بمعنى آخر أن موضوع تحديد أيهما الأفضل في بلوغ الهدف الاتصال الشخصي أو الجماهيري؟

للإجابة نقول: أن الموضوع يرتبط بمتغيرات عدة لعل أهمها نوع المشروع الاتصالي وثم نوع الجمهور المستهدف. فأنا انفرد بالنموذج الشخصي أو

بالنموذج الجماهيري وما يحقق التناغم بين سمات النموذج المستخدم القادر على استيعاب الهدف وبين برنامج أو مشروع الاتصال ذاته. فضلاً عن ان هناك برامج ذات أهمية كبيرة تحتاج للنموذجيين في الوقت ذاته لأجل بلوغ الهدف.

س/ هل يحقق الاتصال الجماهيري التكامل الاجتماعي؟

ج/ نعني بالتكامل الاجتماعي ربط الناس بدرجات متفاوتة بقضايا مجتمعهم ربطاً حقيقياً صادقاً أو خلق ما يسمى بالوعي بالمجتمع أو الإحاطة بما يدور، إنما ذاك من الوظائف الجوهرية للاتصال الجماهيري. عند هذه النقطة يثار سؤال.

س/ هل من وظائف الاتصال الجماهيري خلق التكامل الاجتماعي العالمي؟

قبل الإجابة عن التساؤل، نسئل سؤالاً آخر أشد الارتباط به؟

س/ إذا كانت الاتصالات الجماهيرية تحقق التكامل الاجتماعي العالمي، فهل تذوب الولاءات القومية ومن ثم الخصائص الثقافية والاجتماعية التي تميز مجتمعاً بعينه؟

ج/ أن الاتصال الجماهيري قد حقق درجة كبيرة من التكامل الاجتماعي العالمي، إذ إننا نلمح الآن الكثير من الخصائص العالمية المشتركة، كما إننا قد نجد أن أسلوب حياة معين أخذ في الانتشار في أجزاء كثيرة من العالم وذلك بفعل الاتصال الجماهيري المتعدد، فضلاً عن وسائل المواصلات المتوافرة والمتطورة، إلا أن ذلك لا يعني ذوبان الخصائص القومية والمحلية للمجتمعات الإنسانية المتعددة في شكل اجتماعي واحد. إذ تستمر الولاءات القومية والخصائص النفسية والاجتماعية العميقة والتي ينفرد بها شعب ما دون أن

تذوب ذوباناً كلياً، وذلك ينطبق وبدرجة أيضاً على المجتمعات المحلية الداخلة في تكوين (مجتمع القرية مثلاً). إذ تنفرد هذه المجتمعات أيضاً بخصائصها المميزة.

ويمكن القول أن المجتمع العالمي إن جاز إطلاق مثل هذا الاصطلاح، قد أصبح مفتوحاً على مختلف التيارات العلمية والفلسفية والأيديولوجية التي ينقلها الاتصال الجماهيري. لقد أصبح من السهل تواتر الانتقال السريع للأشكال الثقافية المادية واللامادية من جماعة إلى أخرى ومن طبقة إلى أخرى ومن إطار ثقافي إلى إطار آخر وذلك بفضل الاتصال السهل والانتقال الميسر. ويبدو ذلك بوضوح من ملاحظة تغير المودات وانتشارها وتغير أساليب الحياة وظهور التقاليع وانتشارها انتشارا واسعاً.

بين تفعيل وتضييق تأثير الاتصال الجماهيري والشخصي.

في كل نمط ونموذج للاتصال سواء كان شخصي أم جماهيري هناك حدود في الفاعلية وحدود في العجز أو الإخفاق، وبناء عليه يمكن القول لا يصح لنا أن نوسع أو نقلص من حدود كل نموذج إلا بشروط. بمعنى آخر أن استخدم نموذج دون آخر يرتبط بمتغيرات عديدة، لعل أهمها نوع الجمهور المستهدف، ونوع مشروع الاتصال، وهل يتمكن النموذج من استيعاب برنامج أو مشروع الاتصال بما يضمن بلوغ الهدف. فضلاً عن ذلك يتطلب الانتباه إلى خصائص أو ميزات كل نمط أو نموذج ومدى انطباعه أو ملائمته مع الجمهور المستهدف وبرنامج الاتصال.

لدي وجهة نظر، من الأفضل المزاوجة بين نموذج الاتصال الجماهيري ونموذج الاتصال الشخصي لاسيما في المشاريع الهامة مثل التنمية أو المشاريع التي تبحث في التغير الاجتماعي أو المشاريع السياسية.

وعن تحجيم أو تضييق نطاق الاتصال الجماهيري، يمكن القول

أن نموذج الاتصال الجماهيري لا يمكن أن يستوعب أو يؤثر بدرجة كبيرة في النظم أو الأنساق الاجتماعية أو العمليات الاجتماعية الكبرى لاسيما النظام الديني والنظام التعليمي ويمكن الأسري أيضاً، بمعنى أن درجة تأثيره في هذه الأنساق محدودة وذلك يرتبط بالأسباب الآتية:

أ- أن هذه النظم أو الأنساق تتميز بقدرتها على القهر والإلزام، وذلك لما تمتاز به من تمتعها بنظام أو نسق الجزاءات الثواب والعقاب. أي أنها تمتلك خاصية الإلزام

مثلاً النسق الديني هناك الجنة والنار ← ثواب وعقاب

أو النسق التعليمي الفشل والنجاح ← عقاب وثواب

أو النسق القرابي (الأسرة) المقبول وغير المقبول ← ثواب وعقاب

ب- أن النسق الديني أو التعليمي وحتى الأسري تمتاز بخاصية أخرى هي الفترة الزمنية الطويلة التي يمارس فيها النسق تأثيره على الأفراد، بمعنى طيلة الفترة الزمنية التي يمارس فيها النسق نشاطاته، وتأثيراته على أفراده أو جماعاته.

ج- أن الأنساق المذكورة آنفاً تمتاز بخاصية المتابعة المستمرة لأعضائها.

ح- فضلاً عن ما تمتاز به من درجة التنظيم الاجتماعي العالي إذا ما قورنت بدرجة التنظيم الذي يمتلكها الاتصال الجماهيري.